

الفرق بين الفصاحة والبلاغة لغةً واصطلاحاً

استاذة راحيلة

علم البلاغة ومباحثها من أجل العلوم وأنفعها لأنه يعرف به دقائق اللغة العربية وأسرارها ويكشف به وجوه إعجاز القرآن الكريم، فيفيدنا من ناحيتين، من الناحية الدينية (وهي معرفة إعجاز القرآن الكريم) ومن الناحية الأدبية (وهي الوقوف باللغة العربية وقواعدها) ولهذا قررته علماء اللغة (١) من: "أحق العلوم وأولها بالتعلم بعد معرفة بالله جل ثناؤه إذ به يعرف إعجاز القرآن الكريم والإنسان إذا أغفل علم البلاغة، لم يكمل علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب وما شحنه به من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف وضمنه من الحلاوة....."

يتعلق هذا العلم بعلوم اللغة وله قواعد وأصول كالعلوم الأدبية الأخرى ولكن لم يصبح علماً دقيقاً ذا قواعد وأصول بدفعة واحدة بل اختلفت عليه العصور وتبدلت عليه الأحوال وأخذ الوقت الكثير حتى اتضحت مصطلحاته وأصبح علماً مستقلاً وفناً كاملاً، وكانت تستعمل كلمة البلاغة منذ قديم للدلالة على فصاحة الكلام، ويقال كلام فصيح وكلام بليغ إذا خلا الكلام عن العيوب التي تفسد الكلام. وفي الحقيقة البلاغة والفصاحة هما محور الكلام والبيان واليهما مرجع أبحاث البيان من العلوم بالبيان (٢) "إنه فصيح و

وهي عبارة عن الكلمات البينة والمعروفة فروى في "المستطرف" (١٠) قول الامام
 "الرازي" في تعريف الفصاحة وهو: "الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد" (ب)
 وحاء صاحب "الوشاح" (١١) بقوله في تعريفها وهو: "انها خلوص الكلام أو
 الكسمة من التصاغر والعراة ومخالفة القياس اللغوي والتعقيد والتكرار وصعف
 التأليف" (ج). أي الكلمة أو الكلام يكون فصيحاً إذا خلا عن هذه العيوب لأنها
 تفسد الكلام وتخرج الكلام من معرض حسن إلى غير حسن. وكذلك المتكلم
 يكون فصيحاً إذا نزه كلامه عن العيوب السفسدة وإذا كان كلامه ظاهراً بيناً و
 معروف الاستعمال بين الكتاب والشعراء. قيل (١٢): ضد الفصيح هو القبيح
 والقبيح غير موصوف للفصاحة لأنها ضدها لمكان قبحها. ويرى "ابن الأثير" (١٣):
 أن القبح والحسن من الأمور المحسوسة، لأن الألفاظ داخلة في حيز الأصوات.
 فالذي يستلذ السمع منها ويميل إليه هو الحسن والذي يكرهه ونفر عنه هو القبيح
 والقبيح غير موصوف بالفصاحة". وهي تقع وصف الكلمة والكلام والمتكلم
 كلها قيل: وتكون الكلمة فصيحة إذا سلمت من الثقل في النطق والغرابة في
 الاستعمال ومخالفة القواعد الصرفية (١٤) (و تنافر الحروف يوجب الثقل في النطق)
 فإذا لُصق بالكلمة عيب من هذه العيوب فخرجت عن درجة الفصاحة. وفصاحة
 الكلام هو أن يسلم الكلام مما يبههم معناه أي يوجب سلامته عن التنافر والغرابة و

ب- والتعقيد: هو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد منه لعدم عان التعقيد الخفي والتعقيد
 اللغوي

ج- التصاغر: هو أن لا يكون اتصال الكلمات بعضها ببعض ثقل على السمع وصعوبة فهمها بالسماع
 التكرار: هو أن الكلمة وحشية غير ظاهرة في المعنى ولا مأهولة الاستعمال عند العرب
 مخالفة القياس: هي خلاف ما قد وردت لألفاظ المعنى في غير خلاف ما قد ورد

غير هما بعد فصاحة مفرداته وأن يجمع فيه المتكلم تلك الصفات الحميدة التي بينها العلماء والبلغاء، والمراد بفصاحة الكلام كما عرفها علماء البلاغة "تكوينه من كلمات فصيحة يسهل على اللسان النطق بها لتألفها ويسهل على العقل فهمها لترتيب الفاظها وفق ترتيب المعاني (١٥) ويكون المتكلم فصيحاً إذا أتى بكلام فصيح وهو: إذا توجد فيه الملكة يقتدر بها على التعبير عن أى معنى من معانى بكلام فصيح كالمدح والثناء والذم وغيرها. (١٦)

أما البلاغة فهي "الوصول والانتقاء" (١٧) فى أصل الوضع اللغوى فنرى انها استعملت فى هذا المعنى فى القرآن الكريم وقال الله تعالى فى المطلق "فإذا بلغن أجلهن" (١٨) أى إذا قاربنه. ومنه استدل صاحب "المستطرف" (١٩) "أنه إذا يقال بلغت المكان فمعناه إذا أشرفت اليه وإن لم تدخله". وقد استعملت كلمة "بلغ" فى معنى "أدرك" و "أشدت" أيضاً فى الكلام العرب ويقولون (٢٠) "تبلغت به العلة" أى اشتدت العلة ويقولون (٢١) "بلغ فى العلم المبالغ" أى أدرك المبالغ. قد بسط "أبو هلال" (٢٢) القول فى تفسير معناها وأحاطها من كل جوانبها فيقول: البلاغة من قولهم بلغت الغاية إذا انتهت إليها ومنها مبلغ الشئ أى منتهاه ومنها المبالغة أى الانتهاء إلى غايته ويقال "الدينيا بلاغ" لأنها تزديك إلى الآخرة وفى قول الله تعالى (هذا بلاغ للناس) أى تبليغ. و عرفها ابن المقفع بقوله (و قيل أنه لم يفسر أحد البلاغة تفسير ابن المقفع) وهو. (٢٣)

"البلاغة اسم جامع لمعان تجرى فى وجوه كثيرة، منها ما كان فى السكوت ومنها ما كان فى الاستماع ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعاً ومنها ما يكون خطباً وربما كانت رسائل فعامية ما يكون من هذه الأبواب فالوحي

كذلك وضع "ابن المقفع" قاعدة هامة لكل متكلم أن يكون في كلامه ما يشير إلى غرضه ولو كان كلامه سجعاً أو مرسلاً، شعراً أو نثراً. أما قوله (منها ما كان في السكوت) فقال "أبو هلال" (٢٤) فيه "أنه يسمى السكوت بلاغة مجازاً وهو حالة لا ينجح فيها القول ولا ينفع فيها إقامة الحجج فإذا كان الكلام يعرى من الخبر أو يجلب الشر فالسكوت أولى، كما قال أبو العتاهية:

"ما كل نطق له جواب

جواب ما يكره السكوت

والبلاغة في اصطلاح علم اللغة هي انتهاء المعنى إلى السامع أو إلى القارى واضحا بعبارة صحيحة ومفهومة حتى يتمكن الكلام في نفسه فعرفها "أبو هلال" (٢٥) بقوله: "أن البلاغة كل ما تبلغ به المعنى إلى قلب السامع حتى تمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن" (د) والجدير بالذكر أثناء الكلام في الفرق بين الفصاحة والبلاغة هو أن البلاغة تقع و صفاً للكلام والتكلم فقط ولا يوصف بها الكلمة المفردة (عكس الفصاحة لأنها توصف بها الكلمة والكلام والمتكلم جميعها) و ذلك لأن الكلمة المفردة لا تبين معناها مفرداً وهي قاصرة عن أن تنتهي غرض المتكلم أو الكاتب إلى السامع أو القارى بسبب انفرادها. فقال صاحب "جواهر البلاغة" (٢٦) "الفرق بين الفصاحة والبلاغة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للآفاظ مع المعانى و أن الفصاحة تكون و صفاً للكلمة والكلام والبلاغة لا تكون و صفاً للكلمة بل تكون و صفاً للكلام (هـ) ولكننا نرى أنه قرر فصاحة الكلام شرط للكلام البليغ مع ذلك إذ قال (٢٧):

د- فجعل حسن الكلام شرطاً للبلاغة لأن الكلام إذا كان قبيح الصورة لم يسمع ببعده.

هـ- كذلك يرى الفتازنى أن وصفه بالبلاغة للكلام لا يقتضيه المفرد، لم يسمع كلمة

بليغة والتعبير هو أن البلاغة إنما هي باعتبار المطابقة للمقتضى الخيال و هي لا تتحقق في المفرد.

فصاحة الكلام شرط في بلاغته". فيسمى الكلام بليغاً إذا يطابق بمقتضى الحال وما يدعو إليه الأمر الواقع مع فصاحة الفاظه. (و)

ويكون المتكلم بليغاً إذا يقتدر على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال مع فصاحته (٢٨) وفي الحقيقة كان قد كثرت بين الأدباء والبلغاء منذ الجاحظ المباحثات عن الفصاحة والبلاغة و هل موضعهما اللفظ أو المعنى ؟ فقرر "أبو هلال" الفصاحة مقصورة على اللفظ والبلاغة على المعنى بعد أن عرض آراء العلماء في الفرق بينهما و قرر الفصاحة تمام آلة البيان بقوله (٢٩) : الفصاحة تمام آلة البيان (ز) والدليل على ذلك أن الألفح والتمتام لا يسميان فصيحين لنقصان آلتها عن إقامة الحروف و زياد الأعجم كان يعبر الحمار بالهمار لنقصان آلة نطقه عن إقامة الحروف فهو أعجم وشعره فصيح لتمام بيانه، فالفصاحة مقصورة على اللفظ والبلاغة على المعنى.

وفتح "ابن رشيق" فصلاً للحديث بين اللفظ والمعنى في كتابه "العمدة" فجعلهما متلازمين بقوله (٣٠) : أنهما متلازمان، إذا اللفظ جسم، روحه المعنى و من ثم كان ما يوصف به أحدهما يعد وصف للآخر، فإذا وصف اللفظ بالغرابة والابتذال، كان ذلك وصفاً للمعنى الجاثم وراءه وكذلك الشأن في المعنى إن وصف بالوضوح أو الغموض، كان ذلك وصفاً للفظ الذي يعرضه ويجلوه". فيعبرهما بالجسم والروح في التلازم و يرى أنه لا يفيد اللفظ بدون المعنى المفيد

و قيل: لبلاغة الكلام طرفان أحدهما أعلى إليه تنتهي البلاغة وهو الإعجاز. وما يقرب عنه. ومن حد الإعجاز انتهى. الطرف الاعني لبلاغة ويعجز البشر عن الاتيان بمثله وهو حد الإعجاز وقريب من حد الإعجاز هو أن يعجز البشر عن الاتيان بأقصر سورة.

له ولا يفيد المعنى بدون اللفظ الموزون له . أما "الجاحظ" (٣١) فيرى : أن المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والقروى ولكن الشأن فى اقامة الوزن و تخيير اللفظ وسهولة المخرج . و لكننا نعتقد أن قول "عبدالقاهر الجرحانى" امام اللغة العربية وواضع علم البلاغة يكفى لنا فى هذا المجال فانه بسط الكلام فى قضية اللفظ والمعنى و جاء بدلائل قاطعة من آداب العرب ومن القرآن الكريم والحديث النبوى فى كونهما شيئين متلازمين و انتهى إلى قوله (٣٢) : قد اتضح اتضاحا ، لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى الفاظ مجردة ولا من حيث كلم مفردة و أن الألفاظ تثبت لها الفضيلة و خلافتها فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها . ونقد على رأى الجاحظ نقداً شديداً اذ قال : أنه يتشدد فى رأيه غاية التشدد اذ يقول أن المعانى مطروحة فى الطريق لانه فى رأيه هما كالجسد والروح ولا مزيد للفظ دون المعنى الموزون له . فقال يظهر اعجابه بموضع آخر فى كتابه "الدلائل" (٣٣) : ما فى اللفظ لو لا المعنى و هل الكلام إلا بمعناه . فانكر للمعانى مزية فى البلاغة كما أنكر ذلك للكلمات فى رأيها المعول هو على النظم (أى معانى النحو) والأسلوب و فصاحة الألفاظ و بلاغتها ترجع إلى الصورة التى تظهر فيها .

و رأى "ابن الأثير" (٣٤) اليهما من ناحية أخرى و عبرهما بالخاص والعام و قرر "البلاغة أخص من الفصاحة كالانسان مع الحيوان و كذلك كل كلام بليغ فصيح و ليس كل كلام فصيح بليغ" ولكن رد "التفتازانى" رأيه و حمله على الفساد بقوله (٣٥) : "أنه فيه نظر و ليس بين حقيقتى الفصاحة و البلاغة عموم و خصوص بل هما كل و جزء فالبلاغة ذو اجزاء مرتبة و الفصاحة جزء غير محمول .

يبدو بهذا البحث أن البلاغة و الفصاحة هما حالتان متعلقتان فى معنى واحد وهو

ايضاح المعنى وابلاغه الى السامع فيرى "عبد القاهر" (٣٦) واضحا بعبارة صحيحة مفهومة. وجمع من المتقدمين أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة الفاظ مترادفة، وقال "ابو هلال العسكري" (٣٧): "الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد إن اختلف أصلهما لأن كل واحد منهما إنما هو الابانة عن المعنى والظهار له". وقرر "الجوهري" (٣٨) الفصاحة البلاغة بعينه بقوله: "الفصاحة البلاغة" أي الفصاحة هي البلاغة والبلاغة ليست في اللفظ وحده وليست في المعنى وحده ولكنها لها أثر لازم لسلامة تألف هذين وحسن انسجامها قيل (٣٩): أن البلاغة بمرجعيتها وأن الفصاحة بنوعيتها مما يكسو الكلام حلة التزيين. فلا بد للكلام البليغ أن تكون فيه الفصاحة لأنها جزء البلاغة والبلاغة ذو اجزاء مرتبة. هكذا اعتنى العلماء بهذا البحث ورتبوا بحوثا طويلة عن أصلهما ووضعوا القواعد وصنفوا الكتب بعد نظر دقيق في آداب اللغة العربية وبعد دراسة عميقة لأساليب كلام العرب. وانكشفوا أسرار البلاغة وفتحوا أكام الفصاحة حتى عرفوا البلاغة من حيث علم مستقل وفن كامل بقولهم (٤٠): "أنه علم يعرف به مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة عباراته".

يتكون علم البلاغة من المباحث الثلاثة وهي، علم البيان وعلم المعاني وعلم البديع وسندكرها مجملًا.

علم البيان

البيان لغة "الكشف والايضاح" (٤١) وعرفه "الجاحظ" (٤٢) بقوله:

"البيان اسم جامع لكل ما كشف لك من قناع المعنى وهتك

الحجاب عن الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقة يهجم على

و امتاز الله به الانسان عن سائر المخلوقات فقال (٤٣)، «الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان» وفي اصطلاح علم البلاغة، «البيان هو علم ايتاء الكلام الواحد بطرق مختلفة فعرفه البلغاء بقولهم: (٤٤) «علم البيان هو ايتاء الكلام الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة بأن تكون الدلالة بعضها أجلى من بعض»

وقال ابن خلدون (٤٥) عن مبدأ هذا العلم «أنه حادث في الملة بعد علم العربية واللغة و يعد من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ و يقصد بها الدلالة عليها». والذي رتب قواعده و دون مسائله هو أبو عبيدة (ح) معمر بن المثنى المتوفى ٢٠٨ هـ الذي صنف كتابه «مجاز القرآن» لبيان مباحثه. لعلم البيان شرف كبير و فضل عظيم فيرى «عبدالقاهر الجرجاني» (٤٦) «عالم اللغة و واضع علم المعاني في فضله» «فلولا ه لم تكن لتتعدى فوائد العلم عالم ولا يفتق عن أزاخير العقل كمائمه و هذا لأن علم البيان يعطى العلوم منازلها و يبين مراتبها و يكشف عن صورتها و يجنى صنوف ثمرها و يدل على أسرارها و يبرز مكنون ضمائرها».

وقال في «الدلائل» (٤٧) في فضله:

«إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً و أبسقُ فرعاً و إجلَى جنى و أعذب ورداً و أكرم نتاجاً و أنور سراجاً من علم البيان».

و قرره «ابن الأثير» (٤٨) بمنزلة علم الفقه لتأليف الكلام بقوله: «علم

وكان عالماً بالشعر والغريب والأخبار والأنساب وصاحب «مجاز القرآن» وألفه عقب أن سئل عن مسألة بلاغية وهو قول الله تعالى من القرآن الكريم (طلعها كأنه رؤس الشيطان) وقيل: إنما يقع الوعد والايعاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف فأجاب أبو عبيدة: كلام الله تعالى على قدر كلامهم أما سمعت قول امرئ القيس: أيقنلى والمشرفى مضاجعى. ومسئونة فرقة كأنساب أغمى الهم ولم يروا الغول قط ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أو عدوا عدوا به (تاريخ علوم البلاغة، ص ٥٥، لأحمد مصطفى المراغى)

البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للأحكام وأدلة الأحكام... وهذا لأنه يستطيع بمعرفته على أداء معنى واحد بأساليب عدة و طرق مختلفة. فيوضع الكلام في صورة رائعة من صور التشبيه أو الاستعارة أو المجاز العقلي أو المجاز المرسل أو في صورة من صور الكناية. وبه يفصل الفرق بين أساليب مختلفة وهو ميران صحيح لتعرف أنواعها و به يمكن دراسة أدبية عن كل أسلوب من أساليب الكلام و نعرف سر البلاغة فيه . فلا نجد فائدة علم البيان و مباحته .

علم المعاني

المعاني جمع "معنى" و هو لغة "المقصود" (٤٩) . وهذا في الحقيقة مصطلح من مصطلحات علم البلاغة الذي يتعلق بالجملة و ما فيها من حذف أو ذكر، تعريف أو تنكير، تقديم أو تأخير، فصل أو وصل، إيجاز أو إطباب فيلقى الكلام ملائماً للمقام الذي قيل فيه و يطابق بأحوال السامعين لأن البلاغة متروقة على مطابقة الكلام بمقتضى الحال فعرفه البلغاء (٥٠) بقولهم : هو علم يبحث في أنواع الجمل المختلفة و استعمالها و يبين وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين و المواطن التي يقال فيها . فنرى أن الخبر يؤكد أحياناً و قد يلقي بغير التوكيد أحياناً حسب حال السامع روى (٥١) أن "أبا يوسف يعقوب بن اسحق الكندي" (الذي كان معاصراً للمأمون والمعتصم والمتوكل) قال "الأبى العباس المبرد" إنى لأجد في كلام العرب حشواً، فقال أين وجدته؟ فقال وجدتهم يقولون عبدالله قائم، ثم يقولون إن عبدالله قائم و ثم يقولون، إن عبدالله لقائم فالألفاظ مكررة والمعنى واحد، فقال "أبو العباس" بل المعاني مختلفة، فالأول، اخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال، والثالث، رد على منكر فمنه استخرج البلغاء أضرب الخبر

لا يخبرنا الكتب عن مولفة الأول إلا أن "عبدالقاهر الجرجاني" وضع قواعد علم المعاني في كتابه "دلائل الاعجاز" و سماها "النظم" أو 'معاني النحو' وقال (٥٢): "و اعلم أن ليس النظم سوى أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قواعبه و أصوله و تعرف مناهجه التي تهجت فلا تربع عنها .
والسكّاكي بعده أطلق مصطلح علم المعاني على المباحث التي سماها عبدالقاهر النظم و عرفه بقوله (٥٣) "أنه تتبع خواص تركيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان و غيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره".

و لعلم المعاني فضل كبير كما هو لعلم البيان ولا نستطيع أن نجحد بأهميته لأن البلاغة متوقفة على مطابقة الكلام بمقتضى الحال "والقول لا يكون بليغاً كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذي قيل فيه و يناسب حال السامع الذي ألقى عليه لأنه قديماً قال العرب لكل مقام مقال (٥٤) .

كذلك يوجب علم المعاني أن يخاطب كل انسان على قدر استعداده في الفهم و نصيبه من اللغة و الأدب ولا يجوز أن يخاطب العامي بما يخاطب به الأديب علم البديع

البديع لغة "المخترع والموجد على غير مثال سابق" (٥٥) كما قال الله تعالى في القرآن الحكيم ﴿ بديع السموت والارض ﴾ (٥٦) و في الاصطلاح "هو علم يعرف به الوجوه والمزاي التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة بعد مقتضى الحال" (٥٧) هذه المزاي تحسن في الكلام بعد كونه مطابقاً لمقتضى الحال ووضوح الدلالة على المرام، قيل (٥٨) "فان هذه الوجوه انما تعد محسنه بعد تينك الرعايتين والا لكان كعلة الدار علم أعناق الخنازير" ولهذا قرر العلماء (٥٩)

مرتبة علم البديع بعد مرتبة علمي البيان والمعاني وبعضهم لم يجعله علماً على حده وجعله ذيلًا لهما ولكن يرى أكثرهم أن تأخر رتبته لا يمنع كونه علماً مستقلاً والذي له فضل السبق في تأليف قواعده هو "أبو العباس عبد الله ابن المعتز العباسي" المتوفى ٢٩٦ هـ فهو أول من صنف فيه كتاب و سماه "البديع" وكان جملة ما جمع منها سبعة عشر نوعاً للبديع وأعلن في كتابه أنه ألف كتابه ليدل دلالة قاطعة: (٦٠) "أنه ما يسمون المحدثون بديعاً موجود في القرآن والحديث حتى في كلام الجاهلين".

و علم البديع في الحقيقة النظر في تزيين الكلام وتحسينه والكلام لا يفتن العقول إذا خلا عن المحسنات اللفظية والمعنوية ولهذا قيل (٦١) "العلماء دَوّنوا هذا العلم لأنهم اعتنوا بشأن الحسن العرضي أيضاً لأن الحسناء إذا عريت عن المزيينات ربما يذهل ببعض القاهرين عن تتبع محاسنها فالكلام إذا كان خالياً عن المحسنات لا يخلب العقول".

فهى المباحث الثلاثة التى يشتمل علم البلاغة عليها. ولها أهمية عظيمة لأن الفضيلة للكلام الذى فيه لطائف الفصاحة ودقائق البلاغة وخصائص المعنى والبيان فمعرفة مهم جداً لمعرفة اعجاز القرآن الحكيم وما فيه من فصاحة الأسلوب وحسن المعانى، و لمعرفة حكمة الأحاديث النبوية وما فيها من فضيلة البيان لأن كان النبى ﷺ على مقام عظيم من الفصاحة والبلاغة وكان أوتى جوامع الكلم.

للبلاغة تاريخ قديم وأينما نجد الأدب، نجد المباحث البلاغية به أيضاً. فتوجد هذه المباحث فى الأدب منذ العصر الجاهلى لأنه للعرب الجاهليين أدب كثير وكانوا على مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان (٦٢) ولهذا دعاهم

القرآن إلى معارضته في بلاغته الباهرة و دعوته إلى المعارضة تدل في وضوح ما أوتوا من اللسن والفصاحة والقدرة على حوك الكلام. وقد صور مبلغ فصاحتهم و بلاغتهم بمواضع مختلفة.

ولكنها اتخذت صورة العلم المستقل في العصور المتأخرة ووضعت قوانينها من حيث علم البلاغة بعد أن اعتنى بمباحثها العلماء والبلغاء لمدة طويلة. فأطلقت أسماء متفرقة على مباحث بلاغية، فتارة سميت بعلم البيان (كما فعل الجاحظ في كتابه البيان والتبيين) وتارة بعلم البديع (فكتب ابن المعتز "البديع" لبيان أنواعه) و طوراً بعلوم النقد (والى "قدمه بن جعفر" نقد النثر ونقد الشعر) و حيناً عبرها العلماء بصناعتى الشعر و النثر (كما فعل أبو هلال فى كتابه الصناعتين) وما زالت هذه العلوم على طريق النمو بأسماء مختلفة حتى أقام بناءها على أساس متين عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) (٦٣) فى القرن الرابع الهجرى و أحكم بناؤها بالأمثلة والشواهد من القرآن والحديث وكلام العرب و قرن بين القواعد الفنية والأساليب الأدبية وكذلك جمع بين العلم والعمل. وتبع نهجه "جار الله الزمخشري" الذى كشف فى كشفه عن وجوه اعجاز القرآن الكريم و أسرار بلاغته وما دام العلماء بعده يفسرون مصطلحات هذا العلم ومباحثه. وألفت الشروح والحواشى على كتب القدماء و بعضهم لخصوا المباحث البلاغية حتى فقد هذا العلم أهميته وأصبح من المعصيات (٦٤)

وفى العصر الحاضر يعد علم البلاغة فرع علم النقد و يرى الباحثون أن القواعد البلاغية كانت فى الحقيقة مقاييس نقدية على هيئة ملاحظات أبدىها النقاد على الأعمال الأدبية حتى اتخذت شكل القوانين على يد البلاغيين فيما بعد. قيل (٦٥) : "حقل البلاغة غير بعيد من حقل النقد فمما يورث أن يحل البلاغة انما هو

امتداد حقل النقد، فالنقد الأدبي أصل للبلاغة والبلاغة فرع للنقد الأدبي.
فجعل العلماء ذيلًا لعلم النقد و فرعه لأنه معرفة الجيد من الردي
والحسن من القبيح في الكلام المنتثور أو المنظوم لا يمكن لنا إلا به.
والله أعلم بالصواب

الهوامش

١. الصناعتين في صناعتى الشعر والنثر، ص ٢، لأبى هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، الطبعة الأولى، مطبعة محمود بك بمصر ١٣١٩ هـ
٢. جواهر البلاغة، ص ٤، لأحمد الهاشمي، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ء
٣. لسان العرب (ف ص ح) ٢٠ / ٤٤٤: ٤٤٥، للإمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقى المصرى، دار صادر بيروت، الطبعة الاولى، ١٣٠٠ هـ
٤. الجمهرة فى اللغة، ١٦٦ / ٢، لابن دريد، أبى بكر محمد بن الحسن الأزدي البصرى الطبعة الأولى، دار صادر بيروت فى مطبعة مجلس دائرة المعارف، ١٣٤٤ هـ
٥. تاج العروس، ١٩٧ / ٢، للعلامة بآله، أبى القاسم لمحمد مرتضى الزبيدي، منشورات دارمكتبة: أساس البلاغة، ص ٤٧٤، محمود بن عمر الزمخشري، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ء
٦. القصص / ٣٤
٧. النهاية فى غريب الحديث والاثر، ٤٥٠ / ٣
٨. المثل السائر، ١ / ١١٥، لضياء الدين ابن الأثير، تحقيق دكتور محمد الخوفى فى أدب الكاتب والشاعر والدكتور بدوى طبانة.
٩. أيضاً
١٠. المستطرف فى كل فن مستطرف، ١ / ٩٦، لشهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الاشبيهي، مشورات الشريف الرضى، قم.
١١. الوشاح، ١ / ١٧، لمحمد الكرمي، المطبعة العلمية، قم سنة ١٤٠١ هـ.
١٢. اسرار البلاغة، للعاملى، ص ١٣٠٦، (بهاء الدين محمد بن حسين العالمى م ١٠٠٣ء)
١٣. المثل السائر، ١ / ١٠٦، لجواهر البلاغة، دار صادر بيروت

١٥. أيضاً، ص ٢١ ١٦. أيضاً، ص ٣٠
١٧. اساس البلاغة، مادة بلغ، ص ٥٠. ٤٩: لسان العرب، ٨/ ٤١٩
١٨. الطلاق / ٢ ١٩. المستطرف، ١/ ٩٤
٢٠. اساس البلاغة، ٥٠. ٤٩ ٢١. أيضاً
٢٢. الصناعيتين، ص ٦
٢٣. البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الحافظ، ١/ ٨٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٨ م
٢٤. الصناعيتين، ص ٦٠ ٢٥. أيضاً، ص ٤٠
٢٦. جواهر البلاغة، ص ٤٠ ٢٧. أيضاً
٢٨. أيضاً، ص ٣٤ ٢٩. الصناعيتين، ص ٧
٣٠. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١/ ١٢٤، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م
٣١. البيان والتبيين، ١/ ١٨
٣٢. دلائل الاعجاز، ص ٣٨، لعبد القاهر الجرجاني دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م
٣٣. أيضاً، ص ١٧٧
٣٤. المثل السائر، ١/ ٧٠
٣٥. شروح التلخيص، ١/ ٧٤ (مختصر) العلامة سعد الدين تفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، دار السرور، بيروت، لبنان
٣٦. الدلائل، ص ٣٥ ٣٧. الصناعيتين، ص ٧
٣٨. تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ص ٩، لأحمد مصطفى المراغي، الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م
٣٩. المفتاح، ص ١٠٠، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م
٤٠. جواهر البلاغة، ص ٤٠

٤١. لسان العرب، ١٣/٦٧، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الإفريقي المصري، دار أحياء صادر بيروت
٤٢. البيان والتبيين، ١/٥٥، ٤٣. الرحمن، ١/٣٠٢
٤٤. كشف الظنون، ١/٢٥٩: المفتاح، ص ١٥٦
٤٥. مقدمة ابن خلدون، ص ٥٥، للعلامة عبدالرحمن ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر.
٤٦. أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني (فاتحه الكتاب)
٤٧. دلائل الإعجاز، ص ٤
٤٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص ٣٥، لضيء الدين ابن الاثير تقديم وتحقيق دكتور أحمد الحوفي و دكتور بدوى طيانة، مطبعة نهضة مصر، الطبعة الاولى، ١٣٧٩هـ/١٤٥٩م
٤٩. جواهر البلاغة، ص ٤٨
٥٠. ايجد العلوم، ٢/٤٨٦، لصديق حسن القنوجي، المكتبة القدوسية ، لاهور المفتاح، ص ٧٧، وما بعد
٥١. البلاغة تطور و تاريخ، ص ٤١، لدكتور شوقي ضيف ، الطبعة السابعة، دار المعارف، بمصر، ١٣٧٧هـ
٥٢. الدلائل، ص ٦٤ ٥٣. المفتاح، ص ٢٤
٥٤. البلاغة الواضحة، ص ٢٥٨، لعلي الجارم ومصطفى أمين ، دارالمعارف مصر، ١٣٧٧هـ
٥٥. كشاف مصطلحات الفنون، ١/١٣٥، للششيخ القاضي علامة محمد علي بن علي الفاروقى التهانوى، سهيل اكادمي لاهور، باكستان ١٤١٣هـ/١٩٩٣ء
٥٦. ايضاً . ٥٧. ايجد العلوم، ١٢٥
٥٨. كشف الظنون، ١/٢٣٢، لمصطفى بن عبدالله الشهير، بجاجي خليفه وبكاتب جليبي ، طبع استنبول ١٩٤١م
٥٩. ايضاً
٦٠. البديع، ص ١، لعبدالله ابن المعتز الخليفة العباسي، مطبعة البابي الحلبي

- وأولاده بمصر، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م
٦١. أسجد العلوم، ٢٠ / ١٢٥
٦٢. البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف، ص ٩، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م
٦٣. عالم اللغة ليداروى زهران، دارالمعارف بمصر الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م
٦٤. أنظر للتفصيل تاريخ علم البلاغة والبلاغة تطور وتاريخ
٦٥. دراسات في النقد الأدبي والبلاغة (مقدمه) لدكتور عبدالعزيز قلقيلة، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، دارالمعارف بمصر

